الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 12) – 1991 – 1412

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

شماره ثبت
تاریخ

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

Shiabooks.net

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

لماذا نحتفل بذكرى الحسين؟

الدكتور علي الوردي

لكم أن تسألوا أيها السادة : «لماذا نحتفل كل عام بذكرى الحسين ؟»

ان هذا سؤال يردده كثير من الناس في هذا العصر . . فلقد مضى ذلك الزمن الذي كنا نتوارث التقاليد الاجتماعية فيه من غير ان نسأل عنها او نشك فيها . قالوا : «ذهب الحسين وذهب يزيد ، في غياهب الماضي الذي لايعود ، فما جدوى التحدث عنهما اذن ؟ اليس من الاجدى أن نكرس جهودنا في حل مشاكلنا الراهنة التي تعرقل علينا في هذا الزمن سبيل النهوض ؟» اجل ايها السادة . . ان هذه كلمة حق لاريب فيها . فلقد ذهب الحسن وذهب يزيد . ولكننا ، مع ذلك ، نجد في كل زمن حسيناً ويزيد يتنازعان الحياة !

وهاهو ذا تاريخ الانسانية مفعما بمثل هذا الكفاح ، بين الحق والباطل ، اذ انجرف المجتمع البشري في هذا السبيل تارة وفي ذلك السبيل اخرى .

فاذا نحن اهملنا التفريق بين حسين ويزيد في التاريخ جاز لنا ان نهمل التفريق بينهما في اي زمان . وبذا قد يلتبس علينا وجه الحق ، وتشتبك حدود الظلم والعدل معاً ، بحيث لانستطيع لها فصلا ولا تمييزاً .

سر اينما شئت ، في شؤون هذه الحياة ، فلسوف ترى امامك صوراً من ذلك الصراع الخالد تتكرر هنا وهنالك كل يوم .

وقد يبغتك ، وانت سائر بين الناس على رسلك ، منظر شخصين يتخاصمان : احدهما قوي غشوم ، والآخر ضعيف يتلوى دفاعاً عن حقه ، واذا بك واقفاً حائراً لاتدري أي جانب تأخذ ، وقد تذهب في سبيلك مطمئناً كأن الأمر لايعنيك .

الا ايها الناس ، ان ما يميز بين الانسان الذي يعيش في مجتمع والحيوان الذي يعيش في غابة هو هذا الضمير الاجتماعي الذي يخالج نفوس الناس فيردعهم عن ان يكونوا بهائم يخافون الظالم ويظلمون الوديع .

فإذا لم يهذب هذا الضمير في نفوس الافراد ، فليس من أمل عند ذلك في رفع مستوى المجتمع الانساني وفي اصلاحه وفي اسعاده .

فإنك اذا سمحت للظالم بأن يظلم الناس ، ثم ابتسمت له واختلقت له المعاذير ، كنت بذلك قد جلبت على نفسك البلاء !

فهو اذا اعتدى اليوم على غيرك فسيعتدي غداً عليك ، وسيلقى من الناس ابتساماً وتأييداً على ديدنك القديم . . هذه حقيقة اجتماعية كبرى ، وهي لعمري من الحقائق المعترف بها في هذا العصر .

وماهذا (الرأي العام) ، الذي يعنى به الغربيون ويحاولون ، بشتى الوسائل ، توجيهه

واثمائه ، الا اصطلاح من المجتمع يراد به قمع نزوات الظلمة والانانيين .

ولعلني لا اغالي اذا اعتبرت اساس مشاكلنا ، في مجتمعنا الحاضر؛ هو ما نرى من ضعف في الضمير الاجتماعي لدى افراد هذا المجتمع .

فقد اصبحنا ، مع الاسف ؛ لا أباليين في جميع مايتصل بالمصلحة العامة : نرى الغاشمين والمجرمين والخائنين ، يسرحون بيننا ويمرحون ، هذا ونحن نعلم انهم من اسباب الانهيار الاجتماعي الذي نكابده اليوم ، ولكننا رغم ذلك ننحني لهم احتراماً ، ونهش في وجوههم ، ونصوغ لهم عبارات الثناء !

اما الصالح من الناس . . فإننا لانعرف احياناً ، اين هو من هذه الدنيا . وكثيراً مانعتبره مجنوناً او سخيفاً ، لانه ، على زعمنا ، لايجاري الزمن في امر اكتناز الاموال او بناء القصور .

يقول علماء النفس : «ان في كل نفس غريزة في حب الشهرة . وكل انسان يود ، من صميم قلبه ، ان يكون محترماً بين الناس مهيباً» .

وبناءاً على هذه الحقيقة ؛ فليس لنا ان نلوم الطاغية اذا استهتر بحقوق الناس ؛ او المترف اذا اقترف المنكر ؛ او المحتكر اذا اغتصب الاموال ؛ انما اللوم ؛ حقاً على الناس انفسهم ؛ فما داموا هم يحترمون المترف ويهابون الظالم ثم يحتقرون كل من كان فاضلاً نزيهاً ؛ فلا غرو بعد ذلك ؛ اذا اندفع اغلب افراد المجتمع نحو الظلم ينهلون منه ونحو المال يغصبونه في كل سبيل !

ايها السادة : ولاتحسبوا ان هذه الحقيقة الاجتماعية جديدة . انها في الواقع قديمة قدم الاسلام . فلقد جاء بها النبي محمد الى قومه ؛ قبل مئات السنين ؛ وسعى سعياً حثيثاً في سبيل تفهيمها لهم وارشادهم الى مأتاها العظيم .

قال النبي : «اذا رأيت امتي تهاب الظالم ان تقول له انك ظالم فقد تودع منها . . من اعان ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه . . لازالت امتي بخير ما دامت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . .» ونحن اذا قارنا بين المجتمع الجاهلي ، الذي كان سائداً قبل محمد ، والمجتمع الاسلامي ، وجدنا أثر هذه الحقيقة واضحاً بليغاً .

فلقد كان الضمير الاجتماعي في الجاهلية ضعيفاً كل الضعف : حيث كان لايقدر فيها الا سبيل العنف ، ولايعلو في اعين القوم الا المرابون والاغنياء . ثم جاء الاسلام من بعد ذلك ، فوضع للمجتمع اساساً جديداً يختلف عن ذلك الاساس القديم : «يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين .» «خير الناس انفعهم للناس» . هذه كانت روحية الاسلام ، في الواقع وبها انتصر العرب اول الامر ، وكانوا خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر !

والآن نأتي الى مقتل الحسين لننظر هل استمرت الامة على السير في هذا الطريق القويم ؟ لقد كان قتلة الحسين يعلمون ، علم اليقين ، فضل الحسين ودناءة يزيد ثم رأوهما بعد ذلك يختصمان فانحنوا اطاعة ليزيد واحتراماً لامره ، ثم انثالوا على الحسين يقطعونه بالسيوف ويقتلون اولاده ويسبون نساءه !!! لم يكن هذا الحادث حادثاً طارئاً ذهب اثره مع الزمن حتى ينسى . انه والحق يقال ، امتحان لهذه الامة ونكبة جرت وراءها نكبات ونكبات . انها لم تكن معركة بين شخصين او بين جيشين ؛ ثم انقشع الغبار عن فوز احدهما

وهزيمة الأخر . كلا . . . انما هي معركة بين مبدأين اساسيين في الحياة ، احدهما ينظر الى مصلحة المجتمع اذ يقدم فيها الصالح ويذاد عنها الدنيء ، اما الأخرة فيتخذ قانون الغابة له سبيلاً !

عثرت على كلمة في الحسين لاحد فقهاء المسلمين ، هو القاضي ابن العربي ، يقول فيها : «ان الحسين قتل بسيف جده» . وقد تابعه على هذا الراي كثير من المستشرقين .

إننا لا نلوم المستشرقين إذا قالوا مثل هذه الكلمة ، ذلك انهم لا يعرفون ما هو الاسلام على حقيقته ، ومن هو محمد . ولكننا نلوم هذا القاضي الذي يدّعي أنه مسلم ، ودرس فقه الاسلام ! .

ان من الخطأ الفظيع ، ايها السادة ، ان نعتبر الاسلام اسماً ينطقون به أو مظاهر يتقمصون فيها .

الاسلام ـ ويح الناس ـ خلق وعدل وتعاون على البر والتقوى .

ان من يريد ان يلتزم في الحياة طريق محمد ، في نفع الناس والعدل بينهم ، لا يهون عليه ان يقدر طريقاً آخر يسير في اتجاه يناقض ذلك الاتجاه على خط مستقيم .

هما طريقان متناقضان ايها السادة ، فينبغي ان تتوضح الآراء بينهما من غير لبس ولا تأويل .

يقول النبي : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان» .

اذن . . فالمجتمع الذي يرى منكراً لمنكر يزيد واتباعه ثم لا يستهجن منهم ذلك ، لا أظن أنه سيهتدي في دنياه الى سبيل قويم .

يقول بعض المؤرخين : انه : عندما قتل الحسين ، هتف هاتف ، بين السماء والأرض :

«ايتها الأمة المتحيرة لا وفقتم لفطر ولا أضحى !» .

كلمة هائلة دوت في سماء العراق آنذاك . .

ونحن في هذا الزمن لا نستطيع ان نتبين ماهية هذا الهاتف فمن يدرينا لعله هاتف النفوس التي أحست بهول الكارثة وكأن الأمة قد شعرت انها بهذا الحادث ، فقدت ضميرها الاجتماعي كما يفقد الانسان أحياناً غريزة المحافظة على الحياة ، فلا يرجى له بعد ذلك فلاح !

يقال ان الحسين عندما أحاط به الأعداء من كل جانب ، وضيقوا عليه الخناق ، خطب فيهم قائلاً :

«ويلكم ايها الناس ، أتظنون أنكم بعد قتلي تتنعمون في دنياكم وتستظلون في قصوركم ، هيهات فعن قريب سيحاط بكم وتكونون أذل من قوم الأمة وسيسلط عليكم رجل ثقيف ليسقيكم كأساً مصبرة» .

تالله ، انها كانت من الحسين حكمة بالغة ، وقد أرانا الزمن مبلغ صدقها عيانا :

فلقد تتابعت الفتن على هذه الأمة ، بعد مقتل الحسين ، كل امرىء يمسك بالزمام ترى الناس يتبعونه ويخضعون اليه . لا ينظرون الى هدفه ولا يكترثون بالأخلاق . .

فتناوب الطغاة والسفاكون ، جيلاً بعد جيل ، يأخذون من هذه الأمة ضريبة الثأر على شكل غريب !

حتى لقد أصبحت هذه الأمة التي كانت أعز أمم الأرض قاطبة أذل أمة في العالم . أفليس من الجدير ، بعد هذا ، أن نحتفل بالحسين كل عام وكل شهر وكل يوم . . وهذا مقتله قد كان ناقوس الخطر ونذير الهلاك لهذه الأمة التي كانت من قبل خير أمة أخرجت للناس .